

الدرس الثامن

التعليق على كتاب الأمثال لابن القيم

الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد ،

قال المؤلف رحمه الله: ((ومنها قوله تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ) (٣٤) فذكر سبحانه إثم ضعفاء وأن الذين اتخذوهم أولياء، فذكر سبحانه أنهم ضعفاء وأن الذين اتخذوهم أولياء أضعف منهم فهم في ضعفهم وما قصدوه من اتخاذ الأولياء كالعنكبوت اتخذت بيتاً وهو أوهن البيوت وأضعفها. وتحت هذا المثل أن هؤلاء المشركين أضعف ما كانوا حين اتخذوا من دون الله أولياء فلم يستفيدوا من اتخذوهم أولياء إلا ضعفاً كما قال تعالى " واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلاً سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً " ، وقال تعالى " واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون " ، وقال بعد أن ذكر هلاك الأمم المشركين " وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تثبيت " ، ثم قال رحمه الله من اتخذ أولياء من دون الله أشرك فهذه أربعة مواضع في القرآن تدل على أن من اتخذ من دون الله ولياً يتعبد به

ويتكبر ويستنصر لم يحصل له به إلا ضد مقصوده وفي القرآن أكثر من ذلك وهذا من أحسن الأمثال وأدناها على دخان الشرك وخسارة صاحبه وحصوله على ضد مقصوده فإن قيل فهم يعلمون أن أوهم البيوت بيت العنكبوت فكيف أبا عنهم علم ذلك قوله لو كانوا يعلمون؟ فالجواب أنه سبحانه لم ينف عنهم علمهم بوهن بيت العنكبوت وإنما نفى عنهم علمهم بأن اتخاذهم أولياء من دونه كالعنكبوت اتخذت بيتاً فلو علموا ذلك لما فعلوه ولكن ظنوا أن اتخاذهم الأولياء من دونه يفيدهم عزاً وقوة فكان الأمر بخلاف ما ظنوه ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم)).

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد.

فهذا مثل آخر من أمثال القرآن في ميدان العقيدة ، فأمثال القرآن جلها في أثر العقيدة الصحيحة على العبد المسلم وهو مثل ظاهر هو ليس بكامل أو خفي بل هو مثل ظاهر وفيه تصوير المعقول بالمحسوس ، المعقول اتخاذ من دون الله ولياً ، النصرة واللجوء عند الشدة والحاجة فهذه النصرة وهذا اللجوء عند الحاجة أمر معقول شبهه الله تعالى بأمر محسوس وأمر ملموس وأمر منضور وهو بيت العنكبوت.

وهذا المثل من الأمثال في ميدان العقيدة، ومثل بليغ وما عرفت العرب قبل أن تسمع هذا المثل من كلام الله عز وجل تمثيلاً بالعنكبوت.

سورة العنكبوت مدنية والآيات التي معنا مدنية ، وما ورد عن ابن عباس مسنداً عند ابن أبي حاتم في التفسير وكذلك عند عبد الرزاق في التفسير والواحد في أسباب النزول من أنهم قالوا إن رب محمد يضرب المثل بالذباب ويضرب المثل بالعنكبوت وكانوا يتضحكون من ذلك، وهذا الأثر فيه عبد الغني ابن سعيد الثقفي راوي وليس المحدث الإمام الكبير عبد الغني بن سعيد الأسدي، هذا الثقفي راوي وهو واهن، والإسناد ضعيف، والعلماء يقولون عن الإسناد الذي فيه راوي واهن إسناده ضعيف جداً ، هذه القصة لم تثبت ولم تصح.

أريد أبدأ بحيث انتهى لبيان بتفسير المراد بالمثل قبل أن أبدأ فيه وهو من أعجب الأمثال في القرآن الكريم هذا المثل من أعجب الأمثال في القرآن الكريم ، ولك من غير تكلف أن تنزله في واقعنا وأن تنزله في كل واقع، وهذا أمر أيضاً يحتاج إلى بيان بعد قليل.

أريد أقف فإن قيل الكلام الأخير ثم أرجع للمثل وأفصل فيه.

قال فإن قيل فهم يعلمون أن أوهن البيوت بيت العنكبوت.

بيت العنكبوت واهن ، العنكبوت ينسج بيته على ورق الشجر غير ثابتة، واهن، يد الصبي رضيع إن أخذه هكذا يفسده ليس بقوي ، العجيب وهذا العجب في هذا المثل أن خيط العنكبوت من أقوى الخيوط ، خيط العنكبوت يساوي ثلاث في الأربعة من ألف جزء من لا

أقول السم المليمتر ، ثلاث على أربعة من ألف من المليمتر ، ولو أخذت مثله بقطره من الفولاذ فهو أقوى من الفولاذ.

الله قال " وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت " ، ما قال وأن أوهن الخيوط، خيط العنكبوت خيط قوي جداً ، عجيب!

هذه الملحوظة عجيبة جداً، تتخذ ولي من دون الله وأنت على باطل وأنت على كفر تريد أن تحارب أهل الحق، وهذا الذي تتخذه له خيوط قوية أقوى من الفولاذ، لكن بيته واهن أوهن من بيت العنكبوت.

هذا المثل من أعجب الأمثلة على الإطلاق.

لكن أريد أن أعود يقول الإمام ابن القيم فإن قيل فهم يعلمون أن أوهن البيوت بيت العنكبوت فكيف نفى عنهم علم ذلك لو كانوا يعلمون؟

المثل : مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون " فأجاب بجواب دقيق لا يعرفه إلا المتأمل فالجواب أنه سبحانه لم ينفي عنهم علمهم بوهن بيت العنكبوت، ولذا ما نفى عنه لو كانوا يعلمون وإنما نفى عنهم علمهم بأن اتخذهم أولياء من دونه كالعنكبوت اتخذت بيتاً ، نفى عنهم علمهم ، فلو علموا ذلك لما فعلوه ولكن ظنوا أن اتخذهم الأولياء من دونه يفيدهم عزة وقوة ، فكان الأمر بخلاف ما ظنوه ولا حول ولا قوة إلا بالله.

يريد أن يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى جملة لو كانوا يعلمون متصلة بجملة كمثل العنكبوت وليست متصلة بجملة وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت ، فتقدير الجواب هكذا يريد ابن القيم يقول تقدير الجواب هكذا لو كانوا يعلمون أن ذلك مثلهم أي ولكنهم لا يعلمون لانعدم اتخاذهم أولياء وأما وهن بيت العنكبوت فهذا لا يجهله أحد، لو كانوا يعلمون أن اتخاذهم أولياء وأن هذا الاتخاذ لا ينفعهم لما اتخذوه، لو كانوا يعلمون لا تعود على وأن أوهن البيوت لبيت العنكبوت وإنما تعود على قول الله عز وجل كمثل العنكبوت وليس على بيت العنكبوت، وهن بيت العنكبوت أمر مقرر معروف بداهة عند كل عاقل وعند كل ناظر صغير كان أم كبير.

مثل لجميع العقول، تتفاوت مستويات الناس في فهمها لهذا المثل، ومن عادة القرآن أنه يأتي بالمثل ويكون مألوفاً معروفاً بين الناس مشاهداً.

العنكبوت ذبابة صغيرة ذات بطون وأرجل وهي أصناف والعلماء لهم فيها كلام والعرب تستقدر بيت العنكبوت، وأول ما سمعت العرب المثل بالعنكبوت في هذه الآية ولا يستبعد أن يكون ما ذكر أنهم اتخذوه هزواً وأنهم استهزأوا بهذا البيت.

العرب كانت تقول في أمثلتها أغزل من العنكبوت المثل أغزل وما كانوا يعرفون أوهن إن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لما نزلت الآية أصبحت دارجة على ألسنة الشعراء وفي الأمثلة وأصبحت معروفة أن أوهن البيت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون.

ضعف بيت العنكبوت ضعف عجيب وضعف بيت العنكبوت في الداخل والخارج، فيد ولد صغير كما قلت يستطيع أن يزيل هذا البيت على الرغم من قوة الخيوط التي فيه ، العادة أن الأنتى أنتى العنكبوت وتسميها العرب العقدة هكذا تسميها العرب كما في لسان العرب لأبن منظور العقدة هي التي تنسج البيت وبعد أن تلحق من قبل الذكر تعمل أنتى العنكبوت على قتله فتخلص منه فتبدأ تنسج بيت لتضع بيوضها فيه وهذا البيت الذي تصنعه هو أضعف البيوت، وكذلك الآلهة وليست فقط الآلهة وهنا وقفة نحتاج أن نركز عليها من خلال الأمثلة التي ذكرها الإمام ابن القيم ، وهذا التركيز يأخذ منا كلام طويل وأردنا أن نستطرد فيه لاحتجنا كلاماً طويلاً ، لكن ألفت النظر للفرق بين الأمثلة.

تأمل معي الأمثلة المذكورة:

بدأ بمثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء، مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء ثم ذكر فيما بعد واتخذوا من دون الله آلهة ليست أولياء، ثم المثل الذي بعده هذا في سورة مريم: ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴾ (81) ﴿ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ (٨٢).

ثم ذكر مثلاً في سورة يس: ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً ﴾ .

المثل الذي معنا مثل الذين اتخذوا من دون الله ما قال آلهة أولياء، بلا شك أن الذي اتخذ من دون الله آلهة كان هو وليه ، فهو الأعلى، واتخذ من دون الله أولياء هو الأدنى، فليس كل من اتخذ آخر ولياً يكون إلهاً، هذا صحيح ومن بديهيات العقول.

فالتركيز في المثل الذي معنا عن مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء.

هو ولي يطلب منه النصرة، ذاك إله يطلب منه النجاة ، وهذا يفيدنا أن هذا المثل مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء يريدون النصرة في الدنيا، والإله يريد النجاة في الآخرة.

فهذا المثل مثل الكافر إن اتخذ آخر ولياً من دون الله فهو يعتمد على بيت العنكبوت، يعتمد على قوة رهيبه لا يوجد مثلها في الدنيا، خيوطها من أقوى الخيوط، ولكن حالها وحقيقتها أنها كالبيت وليست كالخيوط كبيت العنكبوت.

انظروا حوالىكم هل تجدون هذا المثل واقعاً؟

والله إنه واقع بكل ما فيه، وسيبقى واقعاً.

هنا ما أريد أن أقع في خلل منهجي نبهت عليه في كتابي العراق وطولت في البيان من الخطأ أن تُسقط الآية أو الحديث على حادثة وتخصُّها فيه، فإن كانت الحادثة لا تأبى التكرار والأمثلة في القرآن سنن لله باقية تقبل التكرار والله ذكرها حتى يُصوّب مفاهيمنا ، أما إذا ورد نص شرعي حديث صحيح أو آية في حادثة لا تقبل التكرار ليست مثلاً كهذه الأمثال فالإسقاط يحتاج إلى أناة ويحتاج إلى عبارات علمية صحيحة، وأكثر مثل في هذا الباب ما صنعه أسماء بنت أبي بكر الصديق، أسماء بلغها أن الحجاج قتل ابنها عبد الله بن الزبير لما ثار عليه حتى لما ذكر بعض المؤرخين قال شنقه وجاءت أسماء فطلب وراءها الحجاج، والقصة في صحيح مسلم ، قال إن لم تأتيني سآتي بمن يجرك من قرونك، امرأة كبيرة بنت أبي بكر الصديق فجاءت، قال فتحسست، قيل لها أن ابنك شُنق، فأول اول ما مسكت رجله قالت الحمد

لله الذي رفع قدميك فوق رأس الحجاج، أول كلمة، نساء حكيما، الحمد لله الذي رفع رأسك فوق رأس الحجاج (هذه أن رفع رجلك ليست في صحيح مسلم).

الآن أريد أن أذكر قصة قولها في صحيح مسلم وأريد أن أدلّل على ما أريد من خلال هذه القصة، قالت له: إن النبي ﷺ أخبرنا أن في ثقيف كذاباً ومُغيراً ، فأما الكذاب فقد رأيناه وأما المُغير فلا أخاله إلا أنت.

النبي أخبرنا أن في بني ثقيف كذاب مختار الثقيفي كذاب يكذب على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يكذب على الله جل في علاه وكان صديق لعبدالله بن عمرو بن العاص مختار ثقيفي فقيل لعبدالله بن عمرو بن العاص مختار الثقيفي يدّعي أنه رسول. فقال: إي والله، إنه رسول الشيطان وصديقي وأعرفه. فقالت: أن في ثقيف كذاب ومغير، الكذاب رأيناه. المُغير .

ما معنى المُغير؟

المهلك الذي يعمل على إهلاك الناس.

أسقطت الحديث الصحيح على الواقع، فقالت فلا أخاله إلا أنت على شكلك، و النبي صلى الله عليه وسلم أراد شخصاً الكذاب شخصاً والمُغير شخصاً.

أما سنن الله عز وجل هذه تتكرر وستبقى قائمة والواقع يشهد بصحتها إلى يوم الدين شاء من شاء وأبي من أبي.

لذا قال الله عز وجل: {مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء} وهناك قال: {واتخذوا من دون الله الهة}. هنا لفظة سريعة وسأبينها بتفصيل عام: القرآن الكريم كل كلمة فيه كاللينة توضع في مكانها، والقرآن مُعجَز وإعجازه ليس بكلماته، وإنما إعجازه في بيانه في ترتيبه. أنا وأنت نتكلم باللغة العربية والله تحدى العرب أن يأتوا بمثله عشر سور وتحداهم أن يأتوا بسورة مثل البيان الذي في القرآن، فالقرآن الكريم إن وقع فيه سياق واحد تختلف الكلمة، فاختلفت الكلمة على حسب السياق على حسب ما جاءت فيه وكذلك التقديم والتأخير وكذلك الزيادة وكذلك الأفراد والجمع مثلاً الله يقول: {أبصر به وأسمع} {أسمع بهم وأبصر}. لماذا التقديم والتأخير؟ حسب السياق {لا تقتلوا أولادكم نحن نرزقهم وإياكم} {نحن نرزقكم وإياهم}. التقديم والتأخير.

سمعتم في سورة الزمر {حتى إذا جاؤوها فُتحت} {حتى إذا جاؤوها وفتحت}.

الإمام العلاءي له مُجلِّدة مطبوعة في هذه الواو في الواو مُجلِّدة في الواو.

لماذا هنا وفتحت ولماذا هناك فتحت؟.

هذا الذي نادى به عالم اسمه عبد القاهر الجرجاني في كتابه البديع المسمّى دلائل الإعجاز.

سمعت الشيخ صالح آل الشيخ يقول قرأته أكثر من عشرين، كتاب دلائل الإعجاز.

وهذه التنكيّات والتدقيقات الذي نبّه عليها بكثرة الزمخشري في كتابه [الكشاف] والزمخشري

خبأ اعتزالاته وراء العبارات، ولذا كان يقول سراج الدين عمر ابن رسلان البلقيني كان يقول

استخرجت اعتزاليات الكشاف بالمنقاش.

أنا أقول الناظر في ترجمة الزمخشري ختم تفسيره وهو في مكة وكان عنده تفسير أبي الحاكم الجشمي، قال فاختصر كتاب الجشمي تفسيره الكامل وبلغني أن الكامل طُبع وأُبحث عنه لي سنوات بلغني من أربع أو خمس سنوات أنه طُبع وإلى الآن لم أقف عليه.

قال واختصر كتاب تفسير أبي الحاكم الجشمي وخبأ الاعتزالات وراء العبارات.

فقلت الآن لو صار عندنا التفسير الطويل تفسير أبي الحاكم الجشمي ونقارنه مع الكشاف تظهر الاعتزاليات لأنه هو خبأ العبارات لأن أبا حاكم الجشمي معتزلي، ولذا أهل السنة بالمفهوم العام انشغلوا بالكشاف وأزاحوا منه الاعتزاليات، وأهم من صنع في هذا الأمر اثنان الأول النسفي، والنسفي له تفسيران مطول طُبع حديثاً عن دار اللباب في تركيا اسمه التيسير في التفسير وتفسيره مختصر أو متوسط ليس بمختصر تفسير متوسط سمّاه [مدارك التنزيل في معنى التأويل] فأخذ من الزمخشري وأبعد الاعتزاليات.

والثاني من المفسرين البيضاوي، له تفسير اسمه [أنوار التنزيل] فأخذ الاعتزاليات، وقفت على مخطوط في توبنغن في ألمانيا، الاعتزاليات في كتاب أنوار التنزيل بقيت بقايا، قلت لأحد إخواننا الذين يحضروا معنا غفر الله له فحبسه له ونشره ولا أذن لغيره أن ينشره.

فاعتزاليات البيضاوي مهم لأن البيضاوي محسوب على أهل السنة وبقيت بقايا والرسالة صغيرة وليست بكبيرة.

فهذا موطن ذكر آلهة وذكر أولياء في هذا الموطن، مثلها شيء كثير في القرآن الكريم واعتنى بهذا بالتصنيف من أهل السنة اثنان، الأول ابن الزبير الغرناطي شيخ الإمام القرطبي أبو عبد

الله صاحب الجامع لأحكام القرآن له كتاب طُبِعَ بعنوان [ملاك التأويل] الله يقول عن الأرض هامة وتارة يقول خاشعة لماذا هامة ولماذا خاشعة؟ حسب السياق، والثاني عالم كبير من علمائنا وكان علماءنا أهل صناعة وهذا العالم الكبير كان يعمل في تصليح الأحذية، [درّة التنزيل في غرّة التأويل] للخطيب الاسكافي، كان يصلح أحذية الناس، اسكافي، وولج باباً دقيقاً جداً لم يلجحه إلا القلة، فحتى تتمتع بالقرآن ، ومن فهم بلاغة القرآن وعلم البيان وقرأ هذه الكتب أو وقف على أمثلة على الأقل يكون في مخزونه أمثلة من هذا الباب يجد في القرآن متعة لا توجد لذة مثلها، لماذا؟ لأن القرآن كلام الله وفضل كلام الله على كلامنا كفضل ذات الله على ذواتنا.

فكان العرب يجتمعون عند النبي ﷺ في الكعبة ثم يتعاهدون بعد كل اجتماع أن لا يرجعون، فلا يقدرّون إلا أن يرجعوا، ولما قرأ النبي صلى وسلم بعض الآيات التي فيها سجدة - في صحيح البخاري- لما سمعوا سجدة سجد الكفار ، ليس عبادة لله إنما أخذ القرآن قلوبهم. فالعربي إذا قرأ القرآن يجد لذة لا يعرفها أحد، أما الأعاجم مثلنا فالقرآن وغيره سيّان لا نستطيع للأسف أن نُفرّق بالقرآن.

هنا قال الله عز وجل: {مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء} هذا يظهر لماذا قال الله تعالى هنا أولياء في الآيات التي قبلها في سورة العنكبوت {فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَعْرَفْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } (٤٠-٤١) (مثل الذين اتخذوا) لما بين الله تعالى أنه أهلك من أشرك عاجلاً وعذب من كذب آجلاً ولم ينفعه معبوده لم يدفع ذلك عنه، والله جل

في علاه شبّه لجوء المستضعف والذي يحتاج إلى ولي بأن يتخذه ولياً شبّه هذه الولاية بأنه قد اعتمد على بيت العنكبوت، فالعنكبوت لا يدفع عن نفسه. أسلوب التشبيه أسلوب قوي جدّ في التأثير وهذه فائدة ظاهرة من فوائد عرض الأمثال وفيها لفت نظر وإعمال عقل وتحريك فهم.

فإذا جئت لشخص تحدّثه وتقول له مثلاً: أن يهود لا تتبع امريكا ولن تستفيد من ذلك، كلام محتمل صواب محتمل خطأ، لكن أنت لما تقول: (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً) فهذا أبلغ، وهذا تشبيه شيء معقول بشيء محسوس، وهذا هو مدار أمثلة القرآن الكريم، الكافر لا سيما إن كان جباناً أو ضعيفاً يحتاج إلى أن يتخذه ولياً وهذه ولاية لا تنفع صاحبها، ذلك أن هذا البيت لا يصمد ولا يثبت، لأضعف تحريك فيسقط ويتمزق، والمقصود بهذا الكلام مشركو قريش أصالةً، فضمير اتخذوا عائد إلى معلوم من السياق وهم مشركو قريش كانوا يحتاجون إلى أولياء يناصروهم في محاربة النبي صلى الله عليه وسلم، استنفروا العرب كلهم حتى قاطعوه مقاطعة تلك الاقتصادية وغيرها من الحروب والنبي وحيد لكنه رسول الله، معه الله جل في علاه.

فجملة (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً) حال من العنكبوت وهي قيد مهم في هذا المثل في التشبيه.

بعض المفسرين قالوا التشبيه ليس حول كفار أو نصرّة الكفار وقوتها للأولياء مثل البيت قالوا لا هذا تشبيه هيئة، تشبيه أكثر من طرف، ومال لهذا ودافع عنه ابن عاشور في تفسيره البديع التحرير والتنوير، قال: هذه الهيئة المشبّهة بما مع الهيئة المشبّهة قابلة لتفريق التشبيه على أجزائها

فالمشركون أشبهوا العنكبوت في غروره. العنكبوت مغرور ، فقالوا: العنكبوت أشبه ما يكون بالكفار ، قال: وأولياء الكفار أشبه بيت العنكبوت في عدم الغناء عنم اتخذوها وقت الحاجة إليها وتزول بأقل تحريك وأقصى ما ينتفعون به منها نفع ضعيف وهو السمينة فيها وتوهم أن هذه السمينة تدفع عنهم كما ينتفع المشركون بأوهامهم في أصنامهم.

الإمام الرازي له كلام بديع يقول: البيت ينبغي حتى ينفع صاحبه أن يكون له حائط حائل يحول بين ما هو في داخل البيت وما هو خارج البيت ، وينبغي أن يكون له سقف مظل وباب يُغلق حتى يكون لك خاصية في بيتك. حائط حائل وسقف مظل وباب تستطيع أن تُغلقه على نفسك وحينئذ تستطيع أن تنتفع بمرفقات هذا الأمر، قال: وإن لم يكن كذلك فلا بد من الحائط يمنع من البرد وإما سقف مظل يدفع عنه الحر، فإن لم يحصل منهما شيء فالإنسان كالبيداء، كالذي يعيش في الصحراء فليس بيته، لكن بيت العنكبوت هو كذلك بيت العنكبوت مثل ما اتخذ رجل بيتا وهذا البيت لا يوجد في حائط حائل ولا يوجد فيه سقف مظل فهو في بيت هو في البداء وفي الصحراء.

فالذين يريدون اتخاذ الكفار أولياء من دون الله جل في علاه وأقل درجة من درجات الولاية الحب، أن تحبهم، والأعلى منها النصر، والأعلى منها الاعتماد الكلي عليهم.

للأسف يوجد أقوام من طلبة العلم ومن المحسوبين على العلم ليس عندهم فقط محبة عندهم شيء زائد عن المحبة للأسف. رأيت أمس رجل يرد على كلامي فيما قلت عن غزة، يقول لي: وأين كنت أنت في سوريا وأين كنت في غزة؟ طيب. قال: أنت كنت في أحداث سورية ضد الثورات وفي غزة معها. قلت: سبحان الله يا رب سبحانك أنت الوهاب، يا رب لا تحرمنا

فضلك، يا رب لا تحرمنا بركة كلامك. الثورات علماء يمنعونها والثورات تحريش المسلمين على المسلمين وفي سوريا القاتل مسلم والمقتول مسلم وثورة سوريا لا إعداد ولا جهاد ولا وجعة رأس وما في جهاد لإعلاء كلمة الله، باطل. هذا قتال مع يهود، فهذا من أعجب ما يكون. يا جاهل اقرأ كلامي في كتابي العراق وذكرت الفروق مُطولة بين الثورات وبين الجهاد. الفروق في المسائل الفقهية لا يعرفها إلا الضليع أما المبتدأ فليس له حظ يُقال له ليس هذا بعُشكٍ فادرجي. هذا كلام لا تفهمه. يعني الإمام أحمد رحمه الله قيل: له فلان يقول: إن القرعة قمار. فقال الإمام أحمد -وهو الإمام الرزين كلماته قليلة وراءها بركات عديدة- قال: هذا رجل سؤء، القرعة سُنّة والقمار حرام. طيب من الذي يُفَرّق بين القرعة والقمار؟ الفرق دقيق لا يعرفه الناس. فيقال لمن أراد أن يجمع قتال اليهود مع ثورات في بلاد المسلمين وأن يجمع بينهما يقال له ما قال الإمام أحمد هذا رجل سؤء. لو أن الجاهل يبقى ساكتاً يبقى مستوراً. فيا ليت هذه النوازل لا يتكلم فيها إلا النابغون إلا الراسخون، أما الجهال إن يتكلموا في هذه النوازل فهذه مصيبة من المصائب. القرعة ثبت الحق للجميع، فتأتي القرعة في التطبيق العملي لتكون من نصيب واحد أو اثنين أو ثلاثة على حسب الشرط الموجود، ولذا وردت القرعة في عدة أحاديث النبي ﷺ كان لما يريد أن يسافر يُقرع بين نسائه من ترافقه في السفر، كل النساء لهن الحق حق المرافقة مع الزوج فالحق ثابت، القمار هو الذي يفصل فهو الذي يمنح وهو الذي يمنع بالقمار، إذا الحق غير ثابت هذا قمار، وإذا الحق اشترك فيه مجموعة دخلت انا وآخر وجدنا فرجة في الصف، من حقه وحقي، لو نعلم علم يقين فضل هذا الصف الأول لما تنازلت له ولا تنازل لي لاقترعنا كما أخبر النبي ﷺ. فالقرعة متى تكون؟ عند ثبوت الحق

للجميع. ومتى يكون القمار؟ القمار هو الذي يمنع وهو الذي يمنح، هذا قمار. فلما سمع الإمام أحمد من لم يعرف التمييز بينهما قال هذا رجل سوء.

مشايخنا وعلمائنا الكبار، ذموا ما يجري في سوريا، ما أدرك شيخنا الألباني ذلك، الشيخ الفوزان حفظه الله وبارك فيه ويدعو لأهل غزة. الزعانف الصغار لماذا يتطاولون على الكبار؟ على ذكر شيخنا الألباني رحمه الله لما جرى ما جرى في فلسطين وأظهر بعض المتحرّزين فتوى الشيخ كأهل فلسطين وأنهم لا بد أن يغادروها في كلام فيه حق وفيه باطل، تجرّأت وقلت للشيخ مرة -أسأل الله أن يرحمه- قلت: يا شيخ أخونا الذي يُسجّل لك يُسجّل وينشر فمن رأيي أن يسمع الأشرطة بعض الطلبة وبعض الفتاوى التي قد تعمل قلاقل وבלابل يعني ينصحون بأن لا تُنشر. فضحك الشيخ وعلمني درسًا ما أنساه ولن أنساه، قال: ما عندي مشكلة في هذا لكن أنا أنبهك لشيء. تفضل. قال: أما تسمع الناس يستخدمون كلام الله وكلام نبيه ﷺ على غير وجهه، قلت: كثير، قال: إذا كانوا يصنعون كذلك مع كتاب الله ومع سنة رسول الله ﷺ، فكيف سيفعلون معي؟ من باب أولى. فرأيت أن اقترحي ساقط من الأصل ساقط إذاً أصل الاقتراح ليس بصحيح لأن الضال إذا أراد أن ان يُضل الناس كيف؟ عليكم بالسُنن. أي سُنن؟ علموا الناس السُنن. أي سُنن، ما معنى السُنن؟ لو أنتم طلبة العلم قلنا لكم ما هي السنة؟ ما ثبت عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير. طيب، النبي ﷺ لما جاهد كيف علم الناس؟ الله أنزل عليه ﴿وجاهدكم به جهاداً كبيراً﴾ في الفرقان والسورة مكية، جاهدكم: جاهد الكفار بالقرآن فجاهد الكفار بالقرآن وجاهد الكفار بالحق الذي عندنا وعلى رأسه سنة النبي ﷺ وجاهد الكفار كما جاهد النبي ﷺ، كيف جاهد النبي في

بدر وفي أحد؟ هذه سنة النبي في مجاهدة الكفار، كيف جاهد النبي في معاركه الكفار؟ كيف جاهدتهم؟ بالسلاح. بعض المهايل من المفتيين - وذكر هذا ثلاثة فيما وقفت عليه من علمائنا الأول بخيت المطيع في التكملة الثانية للمجموع للإمام النووي والثاني أحمد البنا في كتابه الفتح الرباني بترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني والثالث محمد أنور الكشميري في كتابه فيض الباري شرح صحيح البخاري، هندي محمد أنور، قال في روسيا قبل الثورة الشيوعية في روسيا كان في مفتي في روسيا، الثورة البلشفية كانت تستخدم البارود والسلاح، فقال مفتي قازان قال استخدام البارود بدعة النبي لم يستخدمه فضاعت البلاد بسبب هذه الفتوى ودُبح المسلمين بسبب هذه الفتوى. الفتوى في المسائل الكبار للعلماء الكبار وليست للصغار والفتوى الحمد لله الناس ما تطيع إلا العلماء، العلماء الذين يُمثّلون دور العلماء هم ليسوا كذلك، هم ليسوا علماء، المسائل التي تخص الأمة ليس لها إلا الكبار، وقد علمنا مشايخنا رحمهم الله علمونا كلمة: المسائل الكبار للعلماء الكبار والصغار لا يتكلموا في المسائل الصغار، الصغير ينبغي أن يبقى ساكناً. فهؤلاء ينبغي أن يعلموا أن العلم أوله سكوت وانصات، تُنصت وليس لك أن تتكلم.

فاتخاذ الأولياء من دون الله وجل واتخاذ الآلهة من دون الله عز وجل لا تنفع أصحابها البتة. سبحان الله، الإمام ابن القيم له كلام بديع في مدارج السالكين - به أختتم مجلسي - بأن من اتخذ غير الله ولياً وكانت ولايته قائمة على أصل باطل فهذا والعياذ بالله تعالى متعلق بما لا ينفعه، فقال رحمه الله في كتابه مدارج السالكين: ((وَمَنْ جَهِلَ الْمُشْرِكِ اعْتِقَادُهُ أَنَّ مَنْ اتَّخَذَهُ وَلِيًّا أَوْ شَفِيعًا أَنَّهُ يَشْفَعُ لَهُ، وَيَنْفَعُهُ عِنْدَ اللَّهِ)).

اتخاذ الأولياء والشفعاء لا ينفع المتخذ لا في الدنيا ولا في الآخرة، وإن نفع في الدنيا فليعلمه
فيمن كان مسلماً في من كان على الحق، فقد تقول بدر ثم أحد وقتها أكثر من مرة: من
الذي انتصرت في أحد؟ انتصر في أحد الإسلام. ومن الذي هُزم؟ المسلمون. فالإسلام دائماً
منتصر والمسلمون إن خالفوا أمر الله فهم مهزومون ولو كانوا صحابة رسول الله، فله سنن
وهذه السنن لا تتخلى.

يقول الإمام ابن القيم: ((ومن جهل المشرك اعتقاده أن من اتخذه ولياً أو شفيعاً أنه يشفع له
وينفعه عند الله كما يكون خواص الملوك والولاة تنفع شفاعته من والأهم، ولم يعلموا أن الله لا
يشفع عنده أحد إلا بإذنه ولا يأذن في الشفاعة إلا لمن رضي قوله وعمله كما قال الله عز
وجل: { مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ } . ولا يشفعون إلا لمن ارتضى. وبقي فصل ثالث
وهو أنه سبحانه لا يرضى من القول والعمل إلا التوحيد واتباع الرسول ﷺ)).

التوحيد الممثل بلا إله إلا الله، واتباع النبي مُتمثل بمحمد رسول الله، احفظ هذه وانشرها ولا
تتوقف على نشرها واطلب ممن علمته أن يُعلمها معنى لا إله إلا الله لا معبود بحق إلا الله
ومعنى مُحَمَّد رسول لا متبوع بحق إلا رسول الله. لا نتبع أحداً اتباعاً مُطلقاً لا متبوع لأحد إلا
رسول الله ﷺ.

قال: ((و عن هاتين الكلمتين يُسأل الأولين والآخرين كما قال أبو العالية: كلمتان يُسأل
عنهما الأولون والآخرون ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلون؟)).

{وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ} (الزخرف 45).

قال: ((فهذه ثلاثة الأصول تقطع شجرة الإِشْرَاقِ من قلب من وَعَاها وَعَقَلها لا شفاعة إلا بإذنه ولا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله ولا يرضى من القول والعمل إلا توحيدَه واتباع رسوله، فالله تعالى لا يغفر شرك العادلين به غيره {ثم الذين كفروا بربهم يعدلون})).

وتكلمنا عن هذا فيما مضى في شرحنا لكتاب تجريد التوحيد.

((وترى المشرك يُكذِّبُ حاله وعمله قوله أنه يقول لا نجبهم كحب الله ولا نُسَوِّبهم بالله ثم يغضب لهم ولحرماتهم إذا انتهكت أعظم مما يغضب الله سبحانه وتعالى، قال: رأينا والله منهم هذا عياناً ورأونا بعداوتهم وبعغوا لنا الغوائل والله مُخْزِيهم في الدنيا والاخرة ولم تكن حجتهم إلا أن قالوا كما قال إخوانهم: عاب آلهتنا، فقال هؤلاء: تَنَقَّصْتُمْ مشايخنا وأبواب حوائجنا إلى الله وهكذا قال النصراني للنبي ﷺ لما قال لهم إن المسيح عبد الله قالوا تنقصت المسيح وعيبته وهكذا قال أشباه المشركين لمن منع اتخاذ القبور أو أوثاناً تُعْبَدُ ومساجد تُقصد وأمر بزيارتها على الوجه الذي أذن الله فيه ورسوله قالوا تنقصت أصحابنا، فانظر إلى هذا التشابه بين قلوبهم حتى كأنهم قد تواصلوا به، {مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا} وقد قطع الله تعالى كل الأسباب التي تعلق بها المشركون جميعاً قطعاً يعلم من تأمله وعرفه ان من اتخذ من دون الله ولياً أو شفيعاً فهو كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت، قال الله عز وجل: {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِنَّ مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مَنِ ظَاهِرٍ} [سبا: 22]

{ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ } [سبأ : 23] قال : فالمشرك إنما يتخذ معبوده لِمَا يعتقد أنه يحصل له به من النفع ، والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الخصال الأربعة ، والخصال الأربعة منفية في الآية ، إما مالك ، لِمَا يريده عابده منه . فإن لم يكن مالكا ؛ كان شريكاً للمالك . فإن لم يكن شريكاً له ؛ كان ظهيراً ومعيناً له . والشراكة ، والشفاعة ، والإعانة .

فنفى سبحانه المراد المراتب الأربعة نفياً مترتباً ، منتقلاً من الأعلى إلى ما هو دونه ، فنفى الملك والشركة والمظاهرة والشفاعة ، التي يظنها المشرك . وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك ، وهي الشفاعة بإذنه سبحانه وتعالى .

فإن لم يكن معيناً ولا ظهيراً له ؛ كان شفيعاً له .

الله نفى عنهم : الملك ، فكفى بهذه الآية نوراً وبرهاناً ونجاة ، وتجريداً للتوحيد ، وقطعاً لأصول الشرك ومواده بمن عقلها .

والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها ، ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته ، وتضمنه له ، ويظنون في نوع واحد ، وفي قوم قد خلوا من قبل ، ولم يُعقبوا وارثا ، وهذا الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن .

أهل القرآن حتى تتأثر في فهمك للقرآن ، ويكون له نصيب من حياتك ، ينبغي أن تشعر أن القرآن ينزل الآن ، والقرآن ليس كلاماً عم من مضي ، وإنما القرآن سنن باقية انطبقت على مَنْ

مضى ، وستبقى قائمة على ما تراه في حياتك ، فالسعيد من فهم القرآن ومن وزن الناس بالقرآن.

تستطيع أن تعرف المحق من المبطل ، والمهدي من المضل ، و المصيب من المخطئ ، تستطيع أن تعرفه بقواعد القرآن.

قال: ولَعَمْرُ اللَّهِ إِنْ كَانَ أَوْلَئِكَ قَدْ خَلَوْا ، فَقَدْ وَرِثَهُمْ مِنْ هُوَ مِثْلَهُمْ ، أَوْ شَرَّ مِنْهُمْ ، أَوْ دُونَهُمْ وَتَنَاولَ الْقُرْآنَ لَهُمْ كَتَنَاولَهُ لِأَوْلَئِكَ ، وَلَكِنْ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : إِنَّمَا تَنْقُضُ الْإِسْلَامَ عُرْوَةَ عُرْوَةٍ ، إِذَا نَشَأَ فِي الْإِسْلَامِ مَنْ لَا يَعْرِفُ الْجَاهِلِيَّةَ .

من كان يعرف الجاهلية ؛ يعرف الإسلام أيضاً.

وهذا لأنه لم يعرف الجاهلية والشرك ، وما عابه القرآن وذمه ؛ وقع فيه وأقره ودعا إليه وصوّبه وحسّنه ، وهو لا يعرفه.

هو لا يعرف أنه هو الذي كان عليه أهل الجاهلية ، أو نظيره أو شر منه أو دونه ، فيُنقَضُ بذلك عرى الإسلام عن قلبه ، ويعود المعروف منكراً ، والمنكر معروفاً ، وتعود البدعة سنة ، والسنة بدعة.

فإذا فهمت سنن الله جل في علاه ، وفهمت لماذا الله بيّن ضلالة من قبلنا ، وأنه لا ينفع أحد المشركين في الموالاتة ، وأن الأمر لله جل في علاه في الأول والآخر ؛ حينئذ أصبحنا بإذن الله تعالى نفهم السنن التي ذكرها الله تعالى في أمثاله ، ومنها هذا المثل.

فالواجب على المسلمين أن يوالي بعضهم بعضاً ، فإن فعلوا ولم يوالي بعضهم بعضاً ؛ فلا بد أن تأتي العقوبة ، ولكن بعضهم قد تأتبه في هذا الجيل ، وبعضهم قد تتأخر عنه إلى سنوات ، قد تتأخر عنه سنوات.

الذي يجري اليوم يهدد المسلمين في كل مكان ، ما بقي للمسلمين سبيلاً ، فإذا لا قدر الله وقع ما وقع ؛ فإن الذلة والفقر والحاجة والتحكم يصبح بإغلاق تام على المسلمين ، لا تستطيع أن تشرب هذا الفئجان إلا بعد أن يأذن عدوك أن تشربه ، وأملاك المسلمين انسلخت عنهم بالكلية ، لا يملكون شيئاً ، فطرق تجارة في البحر -وهي غالب تجارات هذه الأيام- بأيديهم.

متى شاءوا لك أن تشرب هذا الماء شربته ، ومتى لم يشاءوا أن تشرب ؛ تموت عطشاً. وموضوع (المياه وشربها ، وما ورد فيها في آخر الزمان) موضوع مهم ، ورد في كثير من الآثار الموقوفة ، ولها حكم الرفع للنبي ﷺ ؛ تحتاج الإجابة ، فالوقت وقتها الوقت ، وتحتاج لِحِرِّيت ماهر في نظر في كتب الحديث ، وجمع الأحاديث والآثار.

وقفت على عدة آثار فيها أن البشرية في آخر الزمان تكاد لا تجد كوباً من ماء إلا في بلاد الشام.

كيف يفيد هذا؟

ما هي لوازمه؟

وماذا يترتب عنه؟

تتفاوت الفهوم في بيان هذا.

أما العراق النيل والفرات ، فالصراع :

صراع كنوز ، صراعي اقتصادي سياسي ، إذا اليوم أحدثوا يعني ما يسمى في العلوم الإنسانية (السياسة والاقتصاد) وجهان لعملة واحدة.

السياسة والاقتصاد ، يدرسون هذا وهذا.

النبي ﷺ في الصحيحين البخاري ومسلم قال:

لا تقوم الساعة حتى يظهر كنز في الفرات ودجلة.

في رواية وقفت عليها :

حتى يظهر جزيرة من ذهب ، يرسل ثلاثة من أبناء الخلفاء إليها ، فتكون مقتلة ، فيقتل ثلثا الناس.

النبي ﷺ يقول :

من أدرك ذلك ؛ فلا يذهب.

الناس تذهب لسلب الذهب في دجلة والفرات.

تجد اليوم في دجلة والفرات في بعض مناطق تقطع بالأرجل ، ليس فيها نهر ، تحف عن جزيرة ذهب.

العجيب وهذا في السلسلة الصحيحة:

أن الله ينزل في دجلة كل يوم ، من ذهب من الجنة.

دجلة فيها بركة ، فإذا ذهب ؛ حُرِّمَت الأرض من بركات السماء ، بركات الجنة.

والنيل على ما يدندن فيه الناس اليوم ، يعملون على تحفيفه وفق نبوءات أهل الكتاب ، والقوم يهود أقحاح ، يؤمنون بما يصنعون ؛ فلا يبقى ماء إلا في بلاد الشام ، كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم:

حتى تكاد لا تجد كوباً من ماء إلا في بلاد الشام.

فالولاية لغير المؤمنين فيها ضرر في الدنيا والدين ، وإن لم يكن العاجل ؛ فهو في الآجل ، وسنة الله يقع الضرر في الآجل في المتأخرين ، وفي العاجل المباشرين ، يعني الضرر.

نسأل الله عز وجل الرحمة والمغفرة ، نسأل الله أن يلهمنا رشدنا ، وأن يعلمنا ما يجب.

هذا وآخر كلامي أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.